فوق العادة وليست من قواعد السياسة وخاف من اعتبار كلمة على شخص رعيته يستلم شوكة
ونفوذ كبير مثل هذا ولا يخلو الحال فيما بعد من انه يكون شديد البطش قوي البأس عليه
وحض ازابلا على هذا الامر وراوغا كلمب في وفا تمام طلبه ومن بعد ان لازم كلمب
ديوانه اسبانيا مدة سنتانه راى انه يستحيل عليه زحزحة فرديند عن رايه وماهو
مصمم عليه في عقله واتضح له في اخر امره ان كافة اشغاله وما وقع عليه من انقلابه وصل
الى نتيجة عادت عليه بالخسارة وعدم الفايدة مع تمكن الاحاسيس عنده في طلب العدل او في
طلب الحقوق الا انه ما حصل عنده وهن ولا عجز في عقله ولا في قوته مما حاق به من هذه
المصايب منعه من عزمه الاكبر الذي دعاه في اوايل امره لاختراع اعماله الجديدة وهيجه
في الكد والسعي على عمل الاستكشافات وكان فتح الطريق الموصل الى الهند الشرقي مشروع
المحبوب عنده واصل المشروعات في افكاره وكان هذا المشروع ما زال ضاغطا على
افكاره واصرّ على فكر اخذه امامي ملاحظته في مدة سياحته الى ساحل بارية اومن
بعض حكايات من الوطنيين كانت ليست على اساس اومن حكايات عن باشطيده و
دولاكوسه في مدة سفرتها بانه يوجد وراء قارة امريقة بحر ممتد الى الهند الشرقي و
امل انه يوجد رقبة ضيقة من الارض يمكن منها اتصال البحر المعروف الى البحر الممتد الى الهند
الشرقي وتصور ان هذه الرقبة او البرزخ واقع بالقرب من خليج داريان وولو انه
صار طاعن في السن وطحنته الشيخوخة والاتعاب فقدم نفسه بهذا الفكر في صفة سايح
شاب وعرض مشروع ملاحة من اجل اثبات هذا الراي الخطير واتمام المشروع الكبير الذي
كان غرضه في خصوصه في ابتداء امره فرفعت مدة اسباب مختلفة حملت فرديند وازابلا
على امضاها هذا العرض وقبلاه وانشرح صدرها من كونها بحتا بخدمة شرف يزيد
بها من الديوان رجل طلبا نه يستحيل عليها وفاها وقرا ما غرضه عليها وفي نحو هذا
الوقت كان وصل الاسطول البرتغالي تحت قيادة كابرال من جهة الهنود الشرقية موسوقا
بحمايل بضايع ثمينة هيجت اهل اوروبا في الاشتغال بثروة الجهات الشرقية وغنيمة
بلودها وكان البرتغاليون في سعد قايم من استكشافاتهم زيادة عن الاسبانيين فانهم
فتحوا طريق توصيل مع اراضي كثيرة التجارة والصناعة وزاهرة العلوم والمعارف و
التجارة جارية فيها من عصور مضت مع الوفرة والسعة زيادة عن كل اقليم في المعمورة
وصارت لشبونه مركز التجارة ومحط الاموال في وقت ما كانت اسبانيا منتظرة
حصول النفع والفايدة وكاسب ثاني لها في المستقبل من الدنيا الغريبة ومن ثم صار
لا طريقة عند الاسبانيين الا قبولهم مشروع كلمب الذي به يتوصلون الى الشرق من
الطريق المنتظر له انه قصير المسافة ومنها الى الاقطار واحسن من الطريق الذي سلكه
البرتغاليين وقامت الغيرة والحمية ايضا في راس فرديند فكان ذلك سببا في اقراره
على مشروع كلمب ولو انه ما رغب مكافيته ولا اعطاه استحقاقه وبما ان منفعة هذه
السفرة وفوايدها عايدة على الامة فما استحصل كلمب الا على اربعة قوارب اكبرها
لا تزيد حمولته عن سبعين طونولاته ولما كان متعودا على تحمل الاخطار والمصاعب فما
حصل عنده ادنى تردد في قبول رياسة هذه العمارة الحقيرة وصحبه في هذه السفرة
اخوه بارطلمي وابنه الثاني فرديند مؤرخ اعماله واسفاره وسافر من مينة قادس
في يوم ٩ مايه ووصل كما هي عادته الى جزاير كنارية ومنها عزم على التوجه مباشرة
الى قارة امريقة الا ان سفينة الكبرى كانت غير متقونة الصنعة للملاحة والاسفار
فمر من طريق اسبانيوله على امل انه يستبدلها بواحدة اخرى من سفن الاسطول الذي
سافر من اسبانيا تحت قيادة عووانده الى اسبانيوله ولما وصل في ٢٩ يونيه الى
سنت دومينغو وجد ثمانية عشر سفينة مشحونة ومستعدة للسفر الى اسبانيا فاخبر
كلمب الحاكم عووانده بالسفرة المرسول فيها والعارض الذي اوجبه تغيير طريقه ووصوله
الى سنت دومينغو وطلب منه الاجازة في دخوله في المينا ليس من اجل المخابرة في تغيير
مركبه فقط بل ومن اجل المداراة فيها في مدة حصول عاصف شديد متوقع اقترابه ووقوعه
من علامات مختلفة استدل منها بالتجربة والمعلومية بقرب حصول هذا العاصف وشدته
كما وانه اشار على الحاكم ونصحه في تاجيل سفر العمارة المستعدة للسفر الى اسبانيا بضع
ايام حتى يهبط العاصف فرفض عووانده طلبه وازدرى قوله ومشورته واقلعت
العمارة متوجهة الى اسبانيا وفي الليلة الثانية قام الريح واشتدت العواصف فلما
استيقظ كلمب لهذا الخطر اخذ الاحترازات اللازمة في سلامة سفنه وحفظ عمارته الصغيرة
واما

سفرة كلمب الرابعة

واما العمارة التي قامت متوجهة الى اسبانيا فانها ذاقت وبال امرها بما حل بها من
عناد قايدها وعدم سماعه اقوال المرشد المجرب في اعماله وغرقت وما نجي منها الا مركبان
او ثلاثة وهلك في هذا الغرق العام بوواديلا ورولدان ومعظم الذين كانوا قاموا
على كلمب وجاروا عليه وظلموا الهنود ايضا وابتلعهم البحر هم وما كان معهم من الاموال
والثروة الذين استحوذوا عليها بعدم عدلهم وعنف قوتهم وكان من ضمن المراكب التي هلكت
مركب كان فيها امتعة كلمب واثاثاته فاعيدت اليه ثانية وذكر المؤرخون غرابة هذا
النبأ العظيم وانه كان نكالا وعقابا لما كانوا عليه من الجور والظلم وانه اية سماوية
اهلكت الخاطئين انتقاما للبريئين واعتقد ارباب الخرافات ان هذا سر الهي من كلمب
وله دراية تامة بالسحر فهيج بسحره هذه العاصفة المهولة حتى انتقم لنفسه من اعداه
وفي ٢٤ يونية ترك كلمب جزيرة اسبانيوله واسرع متوجها نحو قارة امريقة ومن بعد
سفرة مملة خطرة كشف في سياحته جزيرة غيانانه الواقعة التي على مسافة قليلة من ساحل
هندوراس واجتمع مع بعض اهالي القارة وكانوا وفدوا اليه في قوارب كبيرة فراى فيهم
رايحة التمدن وعلى درجة كبيرة في معلومات الصنايع النافعة زيادة عن كافة الناس الذين
وقع بصره عليهم في مدة استكشافاته وبالفحص والسؤال الذي اجراه الاسبانيين مع شدتهم
المعتادة فيما يتعلق بالجهات الجارية اخذ الهنود منها حلي الذهب المتزينين به دلوهم على
اراضي واقعة نحو الغرب كان الذهب موجودا فيها بكثرة حتى ان استعماله كان عموما عند
اصلاحها فبدل ان يسير كلمب في طلب ارض دعته لذهبها ويتوصل لو كان سار في طول ساحل
يوقطان الى مملكة مكسيكا الغنية عزم هو على السير في مشروع المحبوب عنده المخصوص بايجاد
المضيق المرسوم في عقله انه واقع بين بحرين وهما البحر المعروف والاوقيانوس الهندي واتخذ
طريقه نحو الشرق الى جهة خليج داريان فكشف في هذه السياحة كافة ساحل القارة
من ابتداء راس غراسياس اديوس الى مدينة سماها بورتو بلو اي المينة الظريفة
بسبب ظرافتها وحسن المداراة فيها فكان بحثه وفحصه فيما كان منتظرا له من وصوله الى
بحر غير معلوم لا فايدة فيه ولو انه توجه في طول الساحل عدة مرات الا انه ما دخل في
داخل الارض وما جال بعيدا حتى كان يعبر البرزخ الضيق الفاصل خليج مكسيكا من
الاوقيانوس الاكبر ومع هذا فانه انشرح صدره من خصوبة الاراضي وغنيتها وعينات
الذهب المجلوب لها بواسطة اهلها وفي سنة ١٥٠٣ عزم على ان يترك مستعمرة على نهر
بلين في اقليم بيراغة تحت رياسة اخوه ويعود هو الى اسبانيا في طلب البحث عن جلاء
مستعمرة ودواعيه الا ان سوء عنفوان الذين معه منعهم من تحرير اول مستعمرة على قارة
امريقة وتولد من خطئهم وسفاهتهم قيام الوطنيين عليهم بالسلاح وبما ان الوطنيين
كانوا جنسا شديد البأس في الحروب وما كانوا مثل اهل الجزاير الاخرى فقطعوا دابرهم
من الاسبانيين والزموا الباقي على ترك موضع لا طاقة لهم على ضبطه والمحافظة على
انفسهم فيه وما كان هذا الطرد الذي لاقاه الاسبانيين اول مرة من اهالي الامم الا
مريقانية هو المصيبة التي حلت بكلمب فقط بل واعقبه توالي كافة الافات التي صارت
السياحة عرضة لها وقامت عليه زوابع وعواصف مهولة مصحوبة برعود وبروق عنيفة
حتى عجزت هدرت مراكبه الخربة بالدمار والهلاك وحل في بحريته النفور وملوا من التعب
وسوء الحال وفرغ منهم الزاد والمؤنة وما رغبوا او ما صار لهم طاقة على اداء اوامره
ثم غرقت واحدة من مراكبه والتزم على ترك اخرى بسبب عدم موافقتها في السفر وسار
مع المركبين الا حزينين على ارض القارة من بعد ان سماه ساحل الغضب وتوجه الى اسبانيوله
فكانت البلوى والاهوال في انتظاره في طريقه في هذه السفرة وذلك انه ارتد على
اعقابه بعاصفة مهولة نزلت عليه من سواحل جزيرة كوبا فاخرق مركبيه واحدة بعد
الاخرى مع كثرة الصدم والرج ووصل مع غاية الصعوبة الى ساحل جزيرة جمايكو في
٢٤ يونيه والتزم على سحب المركبين على البر خوفا من غرقها وظهرت له كافة الدواهي
والمصايب وتجسمت له امام عينيه لانه وقع على ساحل جزيرة بعيدة جدا عن الوطن الاسباني
الوحيد الموجود في امريقة وخربت مراكبه وصارت في حالة لا يمكن فيها ترميمها وتراءى له
انه لا يمكنه ارسال خبر بحكايته وقصته وحالة موقفه الى اسبانيوله وبغير هذا صار يستحيل
عليه انتظاره الخلاص مما وقع فيه من الهلاك فلما رآه اهل جمايكو بهذه الحالة الكئيبة

Copyright © King Saud University